الفصـــل الأول : مذاهب الجبرية

١ـ أنـــواع الأفعال :

◄ نلاحظ على سلوك الإنسان أن هناك نوعان من الأفعال هي :

(١)ـ **أفعال إراديـــة** : يكون الإنسان حر في القيام بها أو رفض ممارستها بمحض اختياره .

(٢)ـ **أفعال اضطرارية** : يكون الإنسان فيها مجبر على ممارستها دون أى اختيار منه .

◄ من هنا بدأ الفلاسفة يتساءلون عن طبيعة الأفعال الإنسانية ... هل الإنسان حـــر أم مجـــبر ؟؟ في أفعاله .

- انقسم الفلاسفة إلى مجموعتين من المذاهب : (أ)ـ **الأولى** : تنادى بالحرية (ب)ـ **الثانية** : تؤكد الجبرية .

- ولكن السؤال الآن : هل هناك فرق بين : الجبرية و الحتمية ؟

الجبريـــة	الحتميـــة
١] – نقال على : السلوك الإنسانى	١] – نقال على : العالم الطبيعي
٢)ـ معناها : هي عجز الإرادة العاقلة للإنسان عن الاختيار و التحكم في سلوك صاحبها بسبب ظروف خارجه عن إرادة الإنسان	٢)ـ معناها : إن كل ظاهرة طبيعية تكون مقيدة بشروط تحتم بالضرورة حدوثها ، فإذا توافرت الشروط أمكن التنبؤ بحدوثها . **مثـال** : إذا تـوفر شـرط وجـود الحـرارة ، فإنـه يـؤدى بالضرورة لتمدد المعـادن .
٣)ـ هذه الظروف ترجع إلى : (أ)ـ قدرة الله (ب)ـ المجتمع (ج)ـ الطبيعة الخارجية	

٢ـ أدلـــة وجـود الجبريـــة عنـد الإنســـان

ذهـب أنصـار الجبريـة إلى أن أدلـة الجبريـة موجـودة في التكوين الجوهـرى للإنسـان و هي :

(١)ـ الدليل الجسمي	(٢)ـ الدليل النفسي	(٣)ـ الدليل الإجتماعى
١ـ **الدوافع الأوليـة و الفطريـة** : يشعر الإنسان انه مـضطر أن يأكـل أو يشرب بالضرورة لوجود دافـع الجـوع أو العطش والذي لابد أن يؤدي لتلـك النتيجة الحتمية وفي ذلك إجبـار .	١ـ **السلوك المفاجئ** : يشعر الإنسان أنه مضطر لإتيان سلوك معين ليس له اختيار فيه **مثـــل** : **الخوف المفاجئ** : عندما يـرى كلبـاً أسود في مكان مظلم فإما أن يرتجف من الخوف أو يهـرب دون تـدخل إرادتـه إلا في حـالات نـادرة .	إن الإنسان فرد يعيش في جماعـة ؛ و يخـضع لقيودهـا و لا يـستطيع أن يغيرها فهو **مثلاً** :
٢ـ **الأفعال اللاإراديـة أو المنعكسة** : تدفع الإنسان إلى سلوك جبري **مثـل** سـحب اليـد عنـد شـك الـدبوس . أو إغـلاق العـين مباشـرة عنـد تعرضـها لضوء شديد .	٢ـ **الإنسان المتفائل أو المتشائم** : نجـد أن أفعالـه تعتـبر نتيجـة لهـذا الشعور النفسي .	١ـ يولـد في أسـرة معينة قد تكون (غنية أو فقيرة) دون إرادته .
٣ـ **الصفات الوراثية** : يرث الإنسان بعض الصفات الجـسمية وبعض الأمراض التي تكـون مفروضـة عليه وليس لـه دخـل في اختيارهـا أو رفضها فهي منقولة له بالوراثة.	٣ـ **عجزه أمام أحداث العالم الكبير** : سـواء كانـت طبيعيـة أو اجتماعيـة ؛ فيجد نفسه مـضطر لمـسايرة العـالم و الخضوع له بغير إرادته .	٢ـ ينتسب إلى طبقة محددة و يكتـسب عاداته و ديانته من مجتمعه تلقائياً ٣ـ تتحـدد شخـصيته تـدريجياً وفقـاً للعوامل الاجتماعية في مجتمعه . ـ قد يعترض البعض بأن هناك أفراد يثورن على قيود الجماعـة و ثورتهم تلك دليل على حريتهم **الرد على ذلك** : أن هذا مجرد استثناء لأن الغالبية لا يستطيعون الثورة على قيود المجتمع و هذا دليـل علـى وجـود مبدأ الجبريـة الاجتماعيـة

- و سوف نستعرض الآن معالم أبـرز مذاهـب الحريـــة في العصر الحـديث [هيـــوم]

مذهب الجبريـــة في العصـر الحـديث (هيوم)

(١)- ظروف نشـأة الجبريـــة الحديثـــة :

١]- الانقـــلاب الصنـــاعي :

أدى الانقلاب الصناعي و سيطرة الآلة إلى ظهور مذاهب الجبرية ؛ كما أدى إلى ظهور مذاهب الحرية كرد فعل لتلك الآلية.

٢]- اكتشـاف حتمية حركـة الأفـلاك :

ساعدت جهـود (نيوتن و كوبرنيكوس) في اكتشاف حتمية القوانين و الأفلاك على نقل التفسير الجبري إلى سلوك الإنسان .

٣]- اكتشـاف الحتمية في علم الحياة :

أثبتت الاكتشافات العلمية الحديثة و خاصة بعد ظهور (علم الكيمياء العضوية) : أن الخلية الحية هـي نتـاج حتمي لعدة تفاعلات كيميائية تخضع لقوانين محددة ، و هو عكس الفكر الذي كان سائداً في ذلك الوقت.

٤]- اتسـاع التفسير الآلي للسلوك الإنساني : و ذلك للأسباب التالية :

أ- فـونت : أنشأ أول معمل تجريبي لعلم النفس فكان مقدمة للتفسير الآلي العلمي للظواهر السلوكية عند الإنسان .

ب- المدرسة السلوكية : رد أنصارها الظواهر النفسية إلى سلوك خفي مترتب على علاقات آلية من الجهاز العصبي فأصبح السلوك نتاجاً حتمياً لعوامل : (مادية أو جسمية) فانهارت فكرة حرية الإرادة الإنسانية .

ج- نظرية التطور عند (دارون) : فالكائنات الحية تطورت وفقاً لقوانين محددة ارتبطت بالبيئة ؛ جعلت الكائنات الحية تأخذ شكلاً لا دخل لها في اختياره .

د- قوانين الوراثة عند (مندل) : التي يمكن بواسطتها التحكم في نسل الكائنات الحية و التنبؤ بأشكالها في المستقبل ؛ فأصبح الإنسان في حياته و نسله و تطوره محكوماً بقوانين معينة .

(٢)- معالم الجبريـــة عنـــد (هيـــوم)

اشتهر (هيوم) بدراساته العميقة للمعرفة البشرية و الأفعال الإنسانية ؛ التي كان متأثراً فيها بمبدأ الضرورة الآلية

(١)- المعرفـــة البشريـــة :

١- حلل (هيوم) المعرفة البشرية و انتهى إلى أن الأفكار الكلية العقلية الموجودة في العقل مثل: مفهـوم (إنسان) هـي أفكار استخلصناها من أشياء جزئية مادية أدركناها عن طريق : (الحـواس)من العالم الخارجي .

٢- لذلك يصبح الفكر بالضرورة صورة عقلية لمدركات حسية ، بمعنى أن الضرورة الحسية المادية هي التي تـتحكم في الفكر المعنوي داخل العقـل .

٣- فنحن نستخلص مفهوم(إنســان) من ملاحظات شخصية مادية في الواقع مثل : احمد ، محمد ، عمرو.

(٢)- قانون تـداعي المعانـي :

١- و هو ضـــرورة أخرى تتحكم في إدراكنا للأشـياء

٢- يقصـد بـه : أن إدراكي لمعاني الأشياء الخارجية ليس عشوائيا وإنما يخضع لقوانين معينة تؤدي إلى تسلسل الأفكار .

٣- وهذه القوانين هي (التشابه - الترابط - التسلسل) مما يجعل معنى معين يؤدي بنا إلى معنى آخر مرتبط

مثال: إذا نظرت إلى صـورة (الكعبة)فإنها تستدعي في ذهنك أنها مكان يلتقي فيه المسلمين كل عام للحج .. كما تستدعى قصة سيدنا إبراهيم مع السيدة هاجر ؛ ذبحه لإبنه إسماعيل ..... الخ

٤- قوانين التداعي تشبه قوانين الجاذبية : حيث تتسم بالحتمية التي تجعل وظيفة العقل هي تقبل المدركات الحسية ليُكون منها المعاني بطريقة آليـــة .

(٣)ـ مبـدأ السـببيـة :

١ـ يرى (هيـوم) أن مبدأ السببية لا وجـود له في العالم الخارجي ؛ إنما هو (مجرد عادة عقلية) فقط .

٢ـ فالظواهر تتعاقب دون وجود رابطة سببية بين ظاهرة و أخرى ؛ و تكرار حدوث التعاقب آلياً جعلنا نعتقد خطأ في وجود السببية مثـال : تعاقب الليل و النهار لا يدل على وجود علاقة سببية بينهما ، فإلا يؤدى احدهما للآخر .

(٤)ـ آليـــة و حتـمية الأفعال الإنسانيـة :

١ـ نتيجة للأفكار السابقة قرر (هيـوم) أن الأفعال الإنسانية آليـــة ولا تحدث نتيجة وجود إرادة حرة؛ فالأفعال الإنسانية تخضع لـــ(ظروف الجسم والإدراك والعالم الخارجي) .

٢ـ يرى (هيـوم) أن الأفعال العقلية الإرادية لا تستطيع تحريك أعضاء الجسم بل هي نتيجة لنشاط الجسم والحواس .

(٤)ـ حريـــة الفعل الإرادي :

١ـ يرى (هيـوم) أن حرية الفعل الإرادي (حريـة مزعومـة) فهي في حقيقتها عمل طبيعي آلي تحكمه علاقة ضرورية بين : (١)ـ البواعث و الدوافع من جهة و (٢)ـ الأفعال من جهة أخرى .

٢ـ هذه العلاقة بين (البواعـــث و الأفـعال) تؤدى إلى نتائج حتمية في سـلوك الإنسـان .

٣ـ فمعرفة البواعث تمكننا من التنبؤ بشكل الأفعال و التحكم فيها .... إذن لا توجـد إرادة حـرة .

أ/ عرفه نبيل الصيفي